01: العالـم قبل النبوة

الحصة رقم: 30/01 تاريخ التسجيل:23جمادى الأولى 1443هـ الموافق لـ 2021/12/28م

محاور الحصة:

.01 كلمة ترحيبية بالمستمعين وتعريف بالحصة وأهدافها
.02 التوحيد أصل والشرك طارئ على الأمم
.03 أوضاع العالم والعرب قبل النبوة.
.04 محاولات الإصلاح بمعزل عن النبوة.
.05 الحاجة إلى النبي المرشد.

العناصر التفصيلية:

○ كلمة ترحيبية بالمستمعين وتعريف بالحصة وأهدافها:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

السادة والسيدات المستمعين لأثير إذاعة المدية الجهوية: سلام الله عليكم في هذا اليوم الأغر، ونحمد الله إليكم أن جمعنا جميعا على مجالس الذكر المحفوفة بالملائكة والمُتنَزَّل عليها بالرحمَة والسكينة، آملين أن تكونوا مشمولين ومشمولات بتمام الصحة وموفور العافية.

نرحب بكم في هذه الحصة الإذاعية تحت مسمى "في رحاب المصطفى ﷺ"، وهي تهدف إلى تحقيق غايتين كبيرتين:

الأولى: التعريف بالسيرة النبوية وصفات النبي ﷺ الخَلقِية والخُلُقية.

والثانية: ربط أحداث السيرة النبوية بمعلمين أساسيين: القرآن الكريم الذي تنزل وفق هذه الأحداث، والواقع الذي يعيشه الناس الآن حتى لا يكون الناس في معزل عن قدوتهم ﷺ.

فلا يخفى على كريم أسماعكم أن السيرة النبوية هي علم يهتم بأحوال النبي ﷺ وما جرى



له من ولادته إلى وفاته وما يمكن أن يُتعَلم من ذلك من فوائد وأحكام، ولذا رأينا أن تكون الحصة الأولى مدخلا لعالم ما قبل النبوة، نتحدث فيها عن أحوال العالم والعرب قبلها ثم نتحدث عن الحاجة إلى النبي المرشد.

والبداية بالحديث عن:

○ التوحيد أصل، والشرك طارئ على الأمم:

تبين نصوص الوحي أن سيدنا آدم عليه السلام أصل البشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ ﴾ وتبين أنه كان موحدا لله تعالى وقد سئل النبي ﷺ عن آدم: أنبي هو؟ قال: ((نعم، نبي مكلم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه روحه...)) رواه أحمد والطبراني.

لكن ظهر الانحراف ابتداء باقتتال ابني آدم وهو انحراف خُلقي: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾، ثم ما لبث أن تطور هذا الانحراف إلى الانحراف العقدي في قوم نوح عليه السلام: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا (23) ﴾، ولذلك قال ابن عباس -كما رواه البخاري-: ((هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون إليها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسِي العلم عبدت)).

ولذلك قال الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي

مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ (213) ﴾ صدق الله

ومن ذلك الزمان بدأت تظهر ثنائية الحق والباطل، والفضيلة والرذيلة، وجعلت أساس التمييز بين المؤمنين والكافرين وبين أهل الجنة وأهل النار.

○ أوضاع العالم والعرب قبل النبوة

يقول الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا (15) وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا (16) وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا (17) ﴾ وهذه الآية تفيد:

- أن الله لم يُخلِ قرية من رسول يبلغ رسالاته للخلق حتى يعرفوها بالله وبكيفية عبادته.
- أن انتشار الباطل وزيادة الفسق هو سبب هلاك الأمم.
- وأنه لا بد من عقاب وأن هذا قانون أجراه الله على البشر لا يتخلف أبدا.

ولذلك فإن العالم قبل النبوة وُجد فيه ديانات سماوية انحرفت انحرافا كبيرا عن أصلها: فاليهودية تحولت إلى ديانة تجسيم وتشبيه وديانة ذات طابع عنصري، والمسيحية تحولت من التوحيد والسلام إلى الشرك والتثليث وصناعة الحروب والاستعمار، ووجدت ديانات وضعية مليئة بالخرافات وعبادة الأوثان وتقديس الأشخاص والرموز وتتغير حسب أهواء رجال الدين والسياسة وتمعن في إذلال الناس لهذين الصنفين.

ولم تكن الجزيرة العربية بمنأى عن هذا "الضلال المبين" كما وصفه القرآن الكريم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ (2) ﴾ فانتشرت عبادة الأصنام بعد أن لم تكن، وكان لكل قبيلة وثن تعبده، وبعض القبائل عبدت الجن وبعضها ألحد كلية، وبعضها أنكر البعث واليوم الآخر وكل ذلك



مسجل ومنصوص عليه في القرآن الكريم.

وانعكس ذلك على أخلاق الناس، وخير من يعبر عن هذا هو ابن عم النبي ﷺ: جعفر ابن أبي طالب الذي حكى للنجاشي ملخص الوضع العربي أخلاقيا فقال: ((أيها الملك! كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا...)).

○ محاولات الإصلاح بمعزل عن النبوة:

في نفس الوقت كانت هناك محاولات للتغيير الجاد من حكماء وعقلاء تلك الأمم قد حكى عنها القرآن الكريم، منها الحكم التي ألقاها لقمان لابنه والظلم الذي كفه ذو القرنين على الناس والعزلة التي اختارها الفتية في الكهف وجعلهم الله معجزة في حد ذاتها.

لكن هذه المحاولات كانت:

- **محدودة التأثير**: فلم يتسع مداها لأكثر من محيطها القريب، بل إن بعضها كتجربة لقمان كانت عائلية فقط: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾، ومع ذلك فقد حرص القرآن على تسجيل هذه المحاولات في قصصه للمقارنة والتنبيه على قيمة النبوة.
- **مهتمة بالأفراد وليس بالأمم**: فقصة لقمان كانت نقلا لتجارب معاشة وحكم مستفادة من الحياة إما بالتأمل أو بالاهتداء بهدي الأنبياء﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾، بينما كانت تجربة الفتية هروبا من واقع الكفر الذي ساد بلدهم: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿10﴾ ﴾، فهي إنقاذ شخصي لهم لا لغيرهم [نلاحظ أن هذا السلوك لم يقبل من النبي يونس عليه السلام: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ

﴾].

- **رهينة بواقع وليس لها طموح مستقبلي**: ولك في منع ذي القرنين لظلم يأجوج ومأجوج مثل واضح، فلم ينه الظلم بل أجله لا غير، وهروب الفتية للكهف لم يكن فيه رؤية مستقبلية.

○ الحاجة إلى النبي المرشد

الله لم يترك الأمم دون مرشد معنوي (الكتاب) أو مادي (الرسول) كما في الآية السابقة ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ﴾

لا ينجح التغيير دون الاستناد إلى الوحي الإلهي

- **إشكال وجوابه:** لماذا اختص الله العرب بالرسالة الخاتمة دون سائر الأمم الأخرى؟

يرجع الأمر لعوامل عدة:

- نفسية العربي القريبة إلى الفطرة
- مقاربة بين الأمي (العربي) والجاهل (العجمي)
- **النتيجة**: الرسالة الإلهية نعمة إلهية من جهة ومن جهة أخرى هي معلم معياري يحدد مفاهيم الصلاح والإصلاح الممتد عبر الأزمان اللاحقة لا يأتيه الباطل.